استخلاصات :

انطلاقا من مقولة (محمد الجوهري)([1]) : " إننا لا يمكننا -برغم كل شئ - أن ننعت التراث بالثبات أم الجمود ، فقد رأينا بوضوح ساطع كيف يقبل الاستجابة للتغيرات الناجمة عن الاتصال بالآخرين ، وعن منجزات الثورة المعاصرة في الاتصالات ، وهي وغيرها مثيرات ومحفزات لتغيرات مهمة في شروط الواقع الاقتصادية والاجتماعية ، أدت - وتؤدي - في غير قليل من الحالات إلى هز هذا الثبات النسبي للتراث ، وتجعله يفقد توازنه أحيانا .

وهكذا فإنه حين تلتقي الجماعات العرقية المتباينة ثقافيا ، فإنها لا تسير على وتيرة واحدة نحو التكيف أو التمثيل الثقافي . أى أن هذه العملية - التمثيل الثقافي - تحدث بين الجماعات بعد دورة محددة من العلاقات ، تبدأ بالاتصال وتنتهي بالتمثيل الثقافي . " وأنه ليس هناك جماعتان عرقيتان مختلفتان يكون لهما من العلاقات الاجتماعية التي تسير على نفس السياق مع جماعتين أخريتن .

وان هناك مراحل متباينة من العلاقات تتوقف إلى حد كبير على حجم الجماعة الوافدة ووضعها في النسق الاجتماعي ، بمعنى أن تحديد طبيعة العلاقات وتطورها ، أنما يتوقف على القوة النسبية ــ فالاحتكاك الثقافي ، لا يتدعم باستمرار تواجد الجماعات العرقية معا ، في جميع الحالات بطريقة عشوائية في دورة محددة ، فبعض الجماعات يتناقص اتصالها الفعلي وتصبح أقل كفاءة مع الاستمرار وقد لا ينحقق أى نوع من التكيف أو التمثيل الثقافي بدافع عدم الاطمئنان أو الخوف أو التوتر الذي يدفع إحدى الجماعات إلى الابتعاد أو العزلة .. ومن ثم يصبح التفاعل بين الجماعات محددودا للغاية وليس له فاعلية في تحقيق الحد الأدنى من التكيف .

وإلى حد كبير يمكن القول بأن هناك نوعا من التكيف بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية بالواحات البحرية وذلك إذا ما اعتبرنا أن التكيف هو العملية التي خلالها يقوم الأفراد والجماعات بالتكيفات الضرورية مع النظام الاجتماعي السائد.

فضلا على وجود نوعا آخر من التمثيل الثقافي - إلى حد كبير - بين هذه الجماعات الوافدة والأصلية إذا ما اعتبرنا التمثيل نوعا من المشابهة العقلية والمطابقة في أنماط السلوك و الآراء والمشاعر والمعتقدات حيث تكتسب الجماعة خبرات وتجارب الجماعة الأخرى - كما أننا لا نستطيع أن نُجزم بأن الثقافة الأصلية لأبناء الواحة قد هيمنت بشكل كلي على الثقافات الوافدة أى لم تكن هي الثقافة المانحة فقط والثقافة الوافدة مستقبلة فقط بل أو ضحت الدراسة أن كلا الثقافتين تأثرت وأثرت في الأخرى وأن اختلفت درجات التأثير من واحدة لأخرى .

والجدير بالذكر أن العزلة الاجتماعية أو التكيف أو التمثيل الثقافي ، كل ذلك مرجعه إلى بناء العلاقات الاجتماعية المتمايزة التي توجد بين الجماعات ، إذ أن من الأفراد يقومون بأدوار خاصة

---

[1] - علياء شكري تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي ، قضايا المرأة المصرية بين التراث والواقع مرجع سابق ص ٢١

تؤدي بهم إلى علاقات محددة مع أعضاء الجماعة الأخرى ، وبذلك يكون وضع الجماعة ومركزهـا هو الذي يحدد طبيعة العلاقات ، وبالتالي ردود الفعل بالنسبة للآخرين .

كما أن هناك عوامل أخرى قد تؤدي إلى عملية التمثيل الثقافي كالتشابه بين الثقافات والمشاركة في الاقتصاد المحلي مما يساعد على إقامة علاقات وثيقة تتمثل في الصداقات وحسن الجوار والزواج التبادلي مما قد يؤدى إلى ضعف الحدود والفواصل بين الجماعات ، وهذا ما لاحظه الباحث في مجتمع البحث حيث أن هناك من الجماعات الوافدة - خاصة من أبناء الفيوم - ما يرجع في الأصل إلى الواحات البحرية ، ونظرا لأن سكان الواحة جميعهم من خارجها وخاصة من أبناء الصعيد الذين وفدوا عليها منذ قديم الزمن فإنه إلى حد كبير تتشابه هذه الجماعات ثقافيا كما أن المشاركة الاقتصادية بين هؤلاء الجماعات –الأصلية - الوافدة - قد أدت إلى التقارب الوجداني والذي ترتب عليه اندماج هذه الجماعات مع بعضها البعض إلى حد كبير الأمر الذي ترتب عليه وجود زيجات بين هذه الجماعات وان اختلفت النسبة بينها. حيث ترتفع نسبة زواج الوافدين من بنات الواحة وذلك لأسباب جاءت في متن الدراسة. آخذين في الاعتبار أن هناك تغيرا ملحوظا قد حدث في طبيعة العلاقات بين الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية حيث كانت في بداية المر ينتابها نوعا من القلق والحيطة والحذر وذلك في بداية تواجد الجماعات الوافدة بالواحة ، ولكنها إلى حد كبير قد زالت هذه الشكوك والحيطة وتحولت بين الكثير منهم إلى ثقة متبادلة تظهر من خلال صور التعاون في المناسبات ووجود بعض المجاملات بين الطرفين ، ورغم ذلك فلن تستطيع أن نجزم بأنه لا يوجد صراعات بينهم ولكن هذه الصراعات تظهر إذا ما تعارضت المصالح .

كما أن هناك تغيرا ملحوظا قد طرأ على عملية الزواج وذلك بعد حدوث عملية الاتصال الثقافي ، حيث اختلفت المناشط الثقافية مما ترتب عليها التفكير المادي والذي أصبح يلعب دورا أساسيا ومؤثرا في حياة الناس وتراجعت القيم التقليدية التي تحث على التكافل كما تراجع دور الأسرة (الأبوين) في عملية الاختيار الزواجي نتيجة الاستقلال المادي ، مما ترتب عليه تغيير بعض الطقوس المرتبطة بعملية الزواج .

كما أدى الاحتكاك الثقافي بالجماعات الوافدة إلى تغير النمط التقليدي في حياة أبناء الواحة وخاصة نمط الزراعة ، ومن المتوقع مستقبلا حدوث صراع في العلاقات بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة وذلك من خلال تزايد إعداد الوافدين من بلاد وادي النيل إلى هذا المجتمع وارتفاع الضغوط الاقتصادية وكذلك نسبة الباطلة . فضلا على مشكلة المياه والصراع عليها حيث بدأت بعض الآبار تجف مياهها مما يتطلب وجود ماكينات لرفع المياه من الأعماق البعيدة . ولذلك يجب العمل على وضع البرامج والخطط الاستراتيجية المستقبلية لحل هذه المشكلة - مشكلة المياه - حيث أن هذا المجتمع يقوم أساسا على الزراعة.

- كما أدي الاتصال الثقافي إلى زيادة وتنوع النشاط التجاري والحرف بالواحة حيث أدت سهولة الانتقال من وإلى الواحة إلى وجود بعض العمالة المهنية المدربة والتي أدت إلى نقل هذه المهارات الحرفية إلى البعض من أبناء الواحة . كما انتعشت التجارة بشكل ملحوظ وتنوعت ولم تعد قاصرة على منتجات الواحة فقط بل أصبح الكثير من التجار يجلبون متطلبات الواحة من بلاد وادي النيل كما ظهرت " السماسرة " بالواحة خاصة من الوفدين وتحديدا في موسم جمع البلح .

- كما أن الواحة إلى وقت قريب كانت في شبه عزلة عن العالم الخارجي ومنغلقة على نفسها مما اكسب لغة الواحة بعض السمات المميزة لها ولكن بعد الاتصال الثقافي بدأت هذه السمات المميزة لهذه اللغة تتراجع وتحل محلها سمات لغوية أخري فضلا على إحلال بعض الكلمات والعبارات الجديدة سواء كانت العربية أو الأجنبية - كما جاءت في متن الرسالة - خاصة عند جيل الشباب.

- قد نلحظ لأول وهلة أن هناك علاقات حميمة بين البعض من الجماعة الأصلية والبعض من الجماعات الوافدة ولكن من يغوص في أعماق المجتمع يرى أن هناك عكس ذلك وان كان الواضح أنها علاقات طيبة وربما يكون السبب الأساسي الخفي وراء الصراع الغير واضح والذي لم يظهر إلا من خلال بعض العبارات مثل : نظرة أبناء الواحة إلى الوافدين بأنهم جاءوا ليستولوا على خيرات الواحة وأن هذه الخيرات هي رزق لهم ولأبنائهم من بعد ، في حين يرى الوافدون انهم هم الذين كان لهم الفضل في تعليم الواحاتية أساليب الزراعة الحديثة ، وهم السبب في تغيير فكرهم ونظرتهم نحو العالم الخارجي ومستحدثاته وعلى سبيل المثال التغير من الزراعات التقليدية إلى الزراعات الحديثة معتمدين في ذلك على وسائل وأدوات الإنتاج المستخدمة

- كما نتج عن الاتصال الثقافى بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة أنواعاً جديدة من الجرائم مثل السرقة وتهريب الماشية ، فلم تعرف الواحة هذه الأنماط من الجرائم إلا بعد معايشتهم مع الجماعات الوافدة جنباً إلى جنب ، ولأول مرة تعرف الواحة - السرقة - كما جاء بالتفصيل فى متن الدراسة ، أما تهريب الماشية فنظراً لأن أسعارها فى الواحة منخفضة ومحظور بيعها خارج الواحة طبقاً لتعليمات المسئولين فالآن أصبح الوافدون يقومون بتهريبها إلى بلاد وادى النيل وبيعها بأسعار عالية ، الأمر الذى ربما يؤدى إلى تدهور الثروة الحيوانية بالواحة ، فضلاً على أن عملية التهريب أصبحت تتم بمساعدة بعض تجار الماشية من أبناء الواحة.

- كما أوضحت الدراسة الميدانية أن هناك تفاوتاً ملحوظاً فى المعاملات خاصة مع الأجهزة التنفيذية ، حيث يوجد تفضيل واضح بالنسبة للجماعة الأصلية تحديداً وعلى سبيل المثال : عدم إتاحة الفرصة أمام الوافدين فى الوظائف الحكومية وكذلك التمييز فى المعاملات أمام أقسام